

لمحات من حياة

الشيخ سعيد بن عابد بن أحمد الحبيشي

رَحِمَهُ اللهُ

بقلم / حامد سعيد عابد

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمحات من حياة الشيخ سعيد بن عابد بن أحمد الحبشي رَحْمَةُ اللَّهِ

أزعم بأن لدي من المخزون المعرفي والأدوات الكتابية ما يؤهلني لكتابة ما أريد، متى أردت، أو قل هكذا أظن، بيد أنني وقفت ما يقارب ثلاثة أشهر عند هذا المقال حائراً من أين أبدأ؟! وبماذا أبدأ؟! بل وكيف أصيغ عباراتي لترقى لمقام من أتحدث عنه؟!

فأنا هنا في حضرة روح قامة دينيه شامخة، في حضرة روح قامة اجتماعية وإنسانية نبيلة تُتعب من أراد الكتابة عنها، إنها روح الفقيه الغالي والذي الشيخ سعيد بن عابد بن أحمد الحبشي الجهني رَحْمَةُ اللَّهِ الذي وافته المنية في صباح الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ١٤٤٢ هـ رَحْمَةُ اللَّهِ رحمة الأبرار بعد أن أمضى قرناً من الزمان في الدعوة إلى الله والبناء وفعل المعروف، وهو الذي نشاء يتيماً فلم يبصر والده رَحْمَةُ اللَّهِ إلا بعين الرضيع ذي الشهر الواحد في عام ١٣٤٠ للهجرة ثم كفلته أمه الرؤوم مع بقية إخوته واختارت أن تكون رفيقته حتى وافتها المنية رحمها الله في منزله في مدينة جده.

تعلم الشيخ الكريم **رَحْمَةُ اللَّهِ** القراءة والكتابة والقراءان والعلوم الدينية على يد شقيقه الفقيه عبد الله **رَحْمَةُ اللَّهِ** والذي تعلم بدوره في كتاتيب الشيخ حامد القباني **رَحْمَةُ اللَّهِ** عالم ينبع وقاضيها.

أنتقل الشيخ الكريم إلى مدينة جدة هو ووالدته وزوجته وأخوته بحثاً عن العمل في السبعينيات الهجرية وتحديدًا في عام ١٣٦٣ للهجرة وعمل **رَحْمَةُ اللَّهِ** في شركة بكتل الأمريكية في موقعين مهمين هما إنشاء مطار الملك عبد العزيز وتوسعة ميناء جده الإسلامي.

لم يسلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** من حوادث الزمان في شبابه فقد أصيب بمرض الجدرى وهو على رأس العمل ما جعله يقرر الانقطاع عن العمل والمكث في منزله في حي الكندرة بسبب خوفه من الحجر الصحي في (الكرنتينه) وهي المحجر الصحي بجده، وهو الإجراء المتبع في حال الإصابة بالأمراض المعدية للمواطنين أو المقيمين، وكما وصف لي فإن من يذهب لذلك المكان على قدميه لا يغادره إلا محمولاً للقبر من ضعف العناية الطبية في ذلك الزمان، فاعتنته والدته وطببته في منزله حتى تماثل للشفاء دون أن يمسه سوء وعاد لعمله فرحوا به أجمل ترحيب لسمعته الطيبة وإخلاصه في العمل فعاد لوظيفته وكأنه لم يغادرها قط.

مرة أخرى أصيب الشاب اليافع بمرض الملاريا وكذلك قام باعتزال عمله واعتنته الأم الرؤوم حتى شفاؤه وعودته لعمله دون أن يمسه سوء كذلك.

حج الشاب اليافع في عامين متتاليين ١٣٦٨ و ١٣٦٩ هـ واختارته العناية الإلهية ليكون من مغسلي الكعبة ومبدلي ثوبها تطوعاً في كلا العامين مما مكنه من الصلاة في جوف الكعبة ورؤيتها من الداخل وقد شاهد الشاب اليافع موكب الملك عبد العزيز **رَحْمَةُ اللَّهِ** خلال مناسك تلکم الحجتين.

حج الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** ثلاثة عشر حجة وقد تشرفت بمرافقته في حجتين منها.

عين الشيخ واعظاً لقبيلة حبيش من جهينة من قبل رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٨ هـ وفي العام التالي أي عام ١٣٧٩ هـ حصل على ختم المأذونية **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

استعين بالشيخ إماماً راتباً وخطيباً لجامع السوق في عام ١٣٨٤ لمدة ثلاثة أشهر وهي التجربة التي لم يكررها الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** فقد تحاشى أن يقبل بوظيفة إمام راتب على الإطلاق على الرغم من عرضها عليه كثيراً بجوار منزله وذلك خوفاً من مسؤولياتها وتبعات القبول بها

أمام الله سبحانه وتعالى وهو ذلك الرجل المولع بالسفر لقضاء حوائج المسلمين والدعوة إلى الله والسعي في إصلاح ذات البين.

كان الشيخ أحد أعيان ينبع الذين دائماً ما يستعين بهم الأمير نايف بن مساعد السديري **رَحْمَةُ اللَّهِ** أمير ينبع - عندما كانت إمارة - لحل القضايا العالقة وإصلاح ذات البين في المنطقة وكذلك أستعان به قضاة أملج في قضايا كثيرة.

كان للشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** أسلوباً ساحراً في إقناع الأطراف بالحلول الوسط التي ترضي الطرفين المتنازعين فكان يفوز دائماً بحل ما استصعب من الأمور وهو نفس الأسلوب الذي كان يستخدمه مع الجمهور في دعوته إلى الله في التجمعات والأفراح ما يجد قبولاً من الناس، وقد كان المهندس عبد العزيز بن يوسف العمار **رَحْمَةُ اللَّهِ** رئيس بلدية ينبع السابق دائماً ما يقدمه في المهرجانات لإلقاء كلمة وعظية على الجمهور.

كان الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز **رَحْمَةُ اللَّهِ** أمير منطقة المدينة المنورة عند زيارته لينبع يقدم الشيخ للصلاة بهم على الرغم من وجود القضاة والعلماء المرافقين.

تعاقد الشيخ مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطلب منهم وقد كان واعظاً لديهم ليومين ومعاراً للمحافظة لبقية أيام الأسبوع

حيث أستعان به محافظ ينبع الأستاذ مرزوق الفهادي ليكون واعظاً وموجهاً للمراكز التابعة للمحافظة، فقد كلف سائقاً يقوم بإيصال الشيخ ومرافقته لتلك المراكز بشكل دوري.

كان الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** ذو شخصية فريدة يحبها ذو الجاه والفقير وفي نفس الوقت فهو صارم في الحق لا تلومه في الله لومة لائم.

وقد كان الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** يقبل بوظيفة إمام جامع ويحرص أن تكون خارج المدن وذلك لاقتناعه بالحاجة الماسة لأهل القرى والبادية للتوجيه الديني، وكذلك لقبولهم للنصح والإرشاد والدعوة إلى الله، فقد تعين إماماً خطيباً لجامع الشدخ ثم لجامع تلعة نزا وأخيراً لجامع أبو شكير الذي أمّ فيه جموع المصلين حتى بلغ الخامسة والتسعين من عمره **رَحْمَةُ اللَّهِ** ولم يترك الجامع حتى عمل على تدريب شاباً صالحاً من أهل القرية وقام بتسليمه الجامع ليتم بذلك خمسون عاماً خطيباً رسمياً.

قام ببناء جامع قرية أبو شكير في ستة أشهر على نفقته الخاصة بعد أن تصدع الجامع الأصلي وهو الذي قام بتصميم الجامع الجديد وتخطيطه تخطيطاً نموذجياً مسلحاً حتى أنه **رَحْمَةُ اللَّهِ** هو من كان يوجه العمال ويشرف عليهم حتى أكتمل البناء.

كان الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** يحرص على حفر الآبار في المناطق النائية للسقيا ويحرص على زراعة شجر السدر بجوارها وبناء احواض السقيا للماشية والطيور وكذلك تعهد تلك الآبار وصيانتها وتزويدها بما تحتاج إليه وزيارتها لتفقدتها من حين لآخر وقد تشرفت بمرافقته في آخر زيارة تفقدية لتلك المواقع قبل أشهر من وفاته **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

كذلك كان يحرص **رَحْمَةُ اللَّهِ** على بناء المساجد والمساهمة فيها حتى أنه تكفل ببناء جامع في باكستان بجميع مرافقه ومن ضمنها بئر ماء. كان له دوراً رئيسياً في تأسيس وبناء مدرسة المسعودي بالشدخ برفقة الشيخ صبيح بن عطية العلوني رحمهما الله وكذلك في تأسيس مستوصف الشدخ.

كان الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** عابداً زاهداً فكان يقوم الليل باستمرار ويحرص على صلاة الضحى ويداوم على صيام يومي الإثنين والخميس وكذلك صيام الأيام البيض أحياناً بالإضافة إلى صيام عاشوراء والست من شوال ويوم عرفة بل أنه كان يصوم الأيام التسعة من ذي الحجة جميعها ان كان مقيماً، وقد صامها **رَحْمَةُ اللَّهِ** في الشهر الذي توفي فيه.

وللشيخ قصة مع رمضان، فقد كان **رَحْمَةُ اللَّهِ** يعتزل الناس في رمضان ويختلي بالمصحف الشريف الذي يختمه في ثلاثة أيام فلا تكاد تراه أسرته **رَحْمَةُ اللَّهِ** إلا في أوقات الإفطار والسحور أو بعد العودة من صلاة

التراييح لتناول طعام العشاء أما باقي وقته فهو ملازم للمصحف، وفي العشر الأواخر فهو مع جموع المصلين لصلاة القيام وكان الأئمة غالباً ما يقدمونه في صلاة الشفع والوتر لقنوته الذي يخطف الألباب **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

تعرض الشيخ لمرض التهاب العصب السابع الذي يسبب شللاً في الوجه وراففته إلى طيب شعبي في المدينة شرفها الله يعالج مثل هذه الامراض، بعد ان باءت مراجعة المستشفيات بالفشل، فقال له الطيب سأعالجك بشرط ان تحتجب في بيتك لمدة اسبوعين، فقال الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ**، والله لا أستطيع سماع النداء دون أن ألبه فقلنا عائدين لينع دون أن يتم علاجه، وفي اليوم التالي وهو الجمعة راففته إلى صلاة الجمعة في قرية أبو شكير وقام بصيانة مصلى العيد بعد أن تعرضت حواجزه للسحب بواسطة السيول الموسمية، وكان يقف **رَحْمَةُ اللَّهِ** مع سائق المعدة يوجهه ودموعه تتساقط على وجنته اليسرى من أثر الشلل، وتمائل الشيخ للشفاء بدون علاج، بحيث لم يبقى للشلل الا أثراً بسيطاً لا يلاحظه إلا من عرف بمرضه **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

كانت دمة الشيخ قريبة جداً وتشاهد في المواقف الإنسانية أو في مواقع الخشية من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وكان رحيماً بالفقراء والأرامل فقد كان يكفل الفقراء حتى أنه يتكفل بنفقة زواج أحدهم لمعرفة بعدم قدرته على ذلك بل كان يخفي ذلك حتى عن أهل بيته.

كان الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** حكيماً ودائماً ما يسعى في إصلاح ذات البين ويحرص على كتابة ما يتم الاتفاق عليه، وقد كان **رَحْمَةُ اللَّهِ** ذو خطأ جميلاً يذهل كل من يطلع عليه، كذلك كان لديه تعبيراً محكماً وقد تعجب من أحد كتابات إصلاحه أحد القضاة ووصفها بأنها أفضل من صكوك المحكمة.

كان **رَحْمَةُ اللَّهِ** دقيقاً في الوصف، دقيقاً في الحساب، لا يعمل شيئاً إلا بميزان، وكثيراً ما كان يسعى للكمال في أعماله، وكذلك كان دقيقاً في المواعيد حتى أنه يحضر قبل الموعد المتفق عليه حرصاً منه على عدم فواته.

ضعف الشيخ في آخر حياته حتى أنه أصبح لا يستطيع المشي إلى المسجد فقرر شراء عربه كهربائية ليتمكن بواسطتها من الذهاب للمسجد قبل الجميع ورفع الأذان **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

استمر الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** في الدعوة إلى الله حتى وهو لا يستطيع المشي فقد أصبح يؤلف كتباً ويقوم بإرسالها إلى القرى ليتم توزيعها هناك. وكان للشعر مع الشيخ حكاية أخرى، فقد كان شاعراً بليغاً لا تخرج أشعاره عن الوعظ والإرشاد والنصح أو الشكر لمن يستحقه، فقد ترك إرثاً شعرياً كبيراً.

ليس لي هنا إلا أن أختتم بهذين البيتين اللذين نظمتهما في ثنايا قصيدة
في جمهورية التشيك وأنا في رففته **رَحْمَةُ اللَّهِ** في رحلته العلاجية التي قام بها
في عام ٢٠١٥ على إثر الحادث المروري الذي لازم الفراش على إثره
لعدة أشهر.

ووالدي نبع الحياة ومصدر قوتي

أدعوه له الله شكراً وفضلاً وعرافانا

أنت الذي عم البلاد وفاءً لا مثيل له

فكم رفعت وكم شيدت بنيانا

حامد سعيد عابد

١١ يناير ٢٠٢٢م

